مصر المرتهنة

بقلم د. المصطفى حجازي- مفكر مصري

"المشكلة لم تعد هي المشكلة، و لكن القائمون على حلها صاروا هم المشكلة"

"The problem is not the problem any more; It's the people solving the problem."

مقولة دارجة فى أدبيات الفكر الاستراتيجى تصح فيما انتهى إليه حالنا فى التصدى لقضية التغيير فى الواقع المصري.

فبين دعوى أحقية كل مصري في أن يتصدى لقضية تغيير واقعه بل وواجبه تجاه ذلك، مع الإصرار على عدم الالتفات إلى العناصر المبدأية التى تؤهل أياً منا إلى القيام بهذا الواجب وممارسة هذا الحق تبددت طاقة التغيير وذبلت شواهده.

حين غاب السؤال عن "معايير" إنجاز هذا التغيير المرجو بل وغُيِّبَ عملياً عن قضية الإصلاح أول المعنيون به والمخاطبون بخطابه والراجون لنتائجه وهم الناس وما يرونه حقاً –أحلنا جهد التغيير إلى جدل نخبة (انتخبت نفسها فى أغلب الأحوال) حول الأحقية والأسبقية للتصدى للإصلاح دونما التفات موضوعي لاستحقاقات إنجاز هذا العمل الإصلاحي.

ولما كان البحث فى استحقاقات "إنجاز" تغيير حقيقى (وليس فقط الحديث عنه أو العمل حول تخومه) ليس على أجندة الحديث فى أغلب الأحيان ولما كانت هذه الاستحقاقات ثقيلة قد تدعو إلى إنكار الذوات والتواري عن سدة القيادة والظهور فى الغالب الأعم، كان الإصرار الدائم بل والهروب إلى دفع كل الحديث وكل العمل إلى خانة صراع أحقية وأسبقية القيام عليه وليس خانة أهلية إنجازه.

فالحديث صار دائماً عن شواهد الإقصاء والتفرد والتى هي آفة مصرية ممجوجة بكل المقاييس ولم يكن أبداً من حديث عن جدوى ما يفعل ومدى ارتباطه باحتياج المخاطب بالتغيير أو طبيعة وعيه.

حتى دعوى المؤسسية زُيِّفَت. فالمؤسسية الحقة يا إخواننا قائمة على إلغاء الشخصنة وأن يحال أطراف أي عمل إلى تركيبة معايير مهنية، إن صَحَّت في حق شخص ما تبوأ هذا الموقع المؤسسى أو ذاك وإن لم تصح أو تَبَدَّلَت قدراته وجب إحلاله و تبديله.

ما مؤسسيتنا في العمل الوطني فهي دعوى أحقية مانسميه الرموز (وهي نخبة ذاتية الانتخاب فى معظمها)- الأطول تاريخاً فى أفضل الأحوال أوالأكثر ظهوراً فى أغلب الأحوال أوالأكثر صخباً فى أسوأ الأحوال- أحقيتهم فى تكوين دائرة أهل حل وعقد بغض النظر عن كنه وطبيعة ما يحلّون وما يعقدون. وهذا للأسف هو ذاته داء الاستبداد المتمثل فى تركيبة النظام المصري المأمول تغييره.

يا سادة!، يا كل من يرجو مخرجاً من نفق الواقع المظلم!، ليس بد من أن نقف جميعاً وقفة صادقة مع أنفسنا وأن نبحث عن ونقدم من هم أهل للقيام على أمر الإصلاح رموزاً كانوا أوغير رموز؟!. وإن كان منا من يرى أنه يستطيع أن يتقدم صفوفنا حال الدفاع عن الوطن و العرض فقط من باب أحقيته كمصري وأسبقيته فى الغيرة على قضايا مصر دونما كفاءة قتال ويحرم هذا الوطن ممن يجيد الذود عنه، إن كان منا من يقدر على ذلك دون أن يتأكد أنه ضاع و ضيع، فليبق النقاش (فى حلبة التغيير الحال والواجب) عن الإقصاء دونما التفات إلى ما جعل من أجله الالتئام أولاً.

و أخيراً فإن الأهلية شطران، أحقية للاضطلاع بفعل ما وكفاءة لتحقيقه، فمن أمَّ عملاً استناداً إلى أحقية دون كفاءة كان مدعيا ومن أم عملا استنادا لكفاء دون أحقية كان مغتصباً، فلا تضيعوا هذه اللحظات الفارقة في عمر مصر بين ادعائنا واغتصاب غيرنا.

"فمصر ليس قدرها أن تضيع بين مستبد مغتصب لمستقبلها و مدعٍ مُضَيِّعٍ لهذا المستقبل."

All copy rights and Intellectual Property rights for the methodology and concepts used in this are reserved by SQUARE Institute for Strategic Thinking, ACME Corp-EMENA ® Copyright © 2010